

كلية اللغات والآداب والفنون

الأستاذة : نعيمة بويغرومني

مسلك : الدراسات العربية

الفصل : السادس

الوحدة : السرد المغربي الحديث

الأستاذة : الربيعي

الموسم الجامعي : 2021/2020

المحاضرة الأولى:

مفهوم السرد في الدراسات الحديثة

4 – المكتبة السردية العربية

4- المكتبة السردية العربية:

بالرغم من أن كتب التراث العربي تحوي أعمالا سردية نفيسة منها ما هو مجموع في كتب بعينها ولها بداية ونهاية ،ومنها ما هو شذرات سردية متفرقة من فترات زمنية مختلفة . فضلا عن أن المادة السردية ماثورة في كل الكتب التراثية ، إلا أنها تفتقد لخزانة خاصة بالسرد كما أقر بذلك الأستاذ يقطين في كتابه : " السرد العربي : مفاهيم وتجليات "

وعليه، فالتفكير في صناعة مكتبة سردية عربية بناء على الرجوع إلى هذه الكنوز السردية وجردها والعمل على تحقيق المخطوط منها ونشره صار أولوية كبرى ضمن مشروع ثقافي عربي متكامل ، وفي هذا السياق يقول الأستاذ يقطين عن هذه الأولوية أنها من " الأولويات التي علينا الانتباه إليها ، والتخطيط لها بما يكفي من الوضوح والجدية لأنه هو المدخل الطبيعي والضروري لذلك " ص 113 ، وهو الأمر الذي لن يرفع فيه التحدي سوى الطلبة الباحثين ، عبر توجيههم " في كليات الآداب ، وفي مختلف البلدان العربية، إلى العناية بهذا الموضوع جمعا وتحقيقا وتصنيفا، كفيل بجعلنا مع الزمان أمام إمكان الحديث ، عن "مكتبة سردية عربية متكاملة ، فمتى يتحقق ذلك؟ إنه ليس بعيد إذا خلصت النية وتحقق العزم " ص 113

وفي انتظار هذا المشروع الذي قد تضطلع به مؤسسات علمية أو أكاديمية. سنقف عند بعض (ثلاثة على سبيل المثال لا الحصر) من كنوز التراث العربي التي ذاع صيتها وتربعت على رأس موروثنا السردية ، باعتبارها نصوصا سردية متكاملة لها بداية ونهاية بغض الطرف عن معرفتنا أو جهلنا بمؤلفيها .

1- كليلة و دمنة : هو كتاب حكايات قصيرة على ألسنة حيوانات والطيور ذات مغزى إرشادي ، والكتاب بمجمله ألفه الفيلسوف الهندي بيديا كخلاصة للحكمة بأسلوب مسلي نزولا عند طلب الملك دبلشيم ، وفي أوائل القرن السادس الميلادي ، أرسل الملك الفارسي محب الحكمة (كسرى انوشراون) الطبيب الفارسي(برذويه) ليقوم بنقل الكتاب من الهندية إلى الفهلوية (الفارسية القديمة)، ثم في منتصف القرن الثاني للهجرة نقله ابن المقفع إلى العربية في كتاب أسماه "كليلة ودمنة." ويشاء الله أن تكتسب النسخة العربية أهمية عالمية بعد فقد الأصل الهندي واختفاء الترجمة الفارسية وتمر السنوات ولا يذكر الناس إلا النسخة العربية فينسبون الكتاب لابن المقفع .

معظم شخصيات الكتاب عبارة عن حيوانات برية، فالأسد هو الملك وخادمه هو الثور اسمه شتريه ، كليلة ودمنة هما اثنان من حيوان ابن أوى ، وشخصيات أخرى عديدة ، هكذا تدور القصة بالكامل في الغابة.

وعلى ألسنة هذه الحيوانات، وقد اشتمل الكتاب على تعاليم أخلاقية موجهة إلى رجال الحكم، وأفراد المجتمع، وقد سلك ابن المقفع في كتابه أسلوب السهل الممتنع، وانبى الكتاب على حكايات اتخذ فيها الحيوان بديلاً عن الإنسان ودليلاً عليه، فقامت على الإيحاء بأسلوب مبطن لا يثير غضب الحاكم، وقد ترجم الكتاب إلى لغات كثيرة، وهو يدرس حتى اليوم في كثير من جامعات العالم.

2- ألف ليلة وليلة:

هو كتاب يتضمّن مجموعة من القصص التي وردت في غرب وجنوب آسيا بالإضافة إلى الحكايات الشعبية التي جُمعت وُترجمت إلى العربية خلال العصر الذهبي للإسلام. يعرف الكتاب أيضاً باسم الليالي العربية في اللغة الإنجليزية، منذ أن صدرت النسخة الإنجليزية الأولى منه سنة 1706 واسمه العربي القديم "أسمار الليالي للعرب مما يتضمن الفكاهة ويورث الطرب"

وقد اختلف في أصل الكتاب ، فهناك من يرى أن واضع الكتاب أكثر من شخص، فلا يعرف البادئ ولا المتأخرون، ولا تعرف جنسياتهم ، وهناك من يرد الكتاب إلى أصل هندي ، وكان ابن النديم في الفهرست أول من عرف بالكتاب قال: «كتاب هزار افسان ومعناه ألف خرافة وكان السبب في ذلك أن ملكاً من ملوكهم كان إذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد فتزوج بجارية من أولاد الملوك ممن لها عقل ودراية يقال لها شهرزاد فلما حصلت معه ابتدأت تخرفه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث إلى أن أتى عليها ألف ليلة وهو مع ذلك يطأها إلى أن رزقت منه ولداً أظهرته وأوقفته على حيلتها عليه فاستعقلها ومال إليها واستبقاها وكان للملك قهرمانه يقال لها دي نازاد فكانت موافقة لها على ذلك."، وقال: "ويحتوي على ألف ليلة وعلى دون المائتي سمر لأن السمر ربما حدث به في عدة ليال وقد رأيت به تمامه دفعات وهو بالحقيقة كتاب غث بارد الحديث" الفهرست، طبعة القاهرة، السنة 1348 هـ، الصفحة: 422 – 423

تختلف الحكايات فهي متنوّعة، وتشمل القصص التاريخية والغرامية والتراجيدية والكوميديّة، والشعرية، والخيالية، والأسطورية، بالإضافة إلى عدة أنواع من القصص الجنسية. وهناك قصص عديدة تصف الجن والغيلان والقردة، كما أن هناك قصصاً عن السحرة والمشعوذين والأماكن الأسطورية، والتي غالباً ما تتداخل مع أناس حقيقيين وأماكن موجودة على أرض الواقع، ولكنها ليست دائماً منطقية. وبكلمة، فالشائع عند العديد من الباحثين الأوروبيين أن أصل الكتاب يعود إلى الهند مع الأفراد لبعض العرب والفرس ببعض الفضل فيه، رغم أن هناك من شكك بذلك ورأى أن أصل الكتاب عربي، كون النسخة العربية هي النسخة القديمة الوحيدة الباقية من الكتاب مع ضياع النسخة الهندية ويرون بأن قصة مقدمة

الكتاب وانتقاله من الهند إلى فارس والقصص التي رويت على ألسنة الحيوانات ما هي إلا من وحي خيال الكاتب عبد الله بن المقفع نفسه، ليبعد التهمة عنه كونه خاف على نفسه من الهلاك، قال ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: "إنَّ ابن المقفَّع هو الذي وضع كتاب "كليلة ودمنة"، وقيل: إنه لم يضعه وإنما كان باللغة الفارسية فعربّه". بيروت_ دار صادر_ص2

اعتباراً لما تقدم ، يصنف النقاد العرب القدامى كتاب كليلة ودمنة في الطبقة الأولى من كتب العرب ويجعلونه أحد الكتب الأربعة الممتازة إلى جانب الكامل للمبرد و البيان والتبيين للجاحظ و العمدة لابن رشيق وهو على هذا الأساس من أثنى كتب التراث العربي وأكثرها أهمية.

وفي التاريخ الحديث أصبح كتاب «ألف ليلة وليلة» مصدر إلهام لعدد من الكُتّاب مثل توفيق الحكيم (مسرحية شهرزاد) و طه حسين (أحلام شهرزاد) و نجيب محفوظ (ليالي ألف ليلة)، و الطيب الصالح (رواية بندر شاه)

كما أن هناك عدداً من المواقع التي برز فيها أسماء لشخصيات ألف ليلة وليلة، لعلّ من أبرزها اسم "أنس الوجود" نسبة إلى شخصية أنس الوجود التي ظهرت في حكايات «ألف ليلة وليلة» كما أثر الكتاب بشكل كبير جداً في الأدب العالمي فالعديد من الأدباء والموسيقيين والرسامين والسينمائيين استوحوا أعمالهم من الكتاب،

3- سيرة سيف بن ذي يزن: سيرة شعبية خيالية تروي حكاية سيف بن ذي يزن الملك اليميني الذي حكمها في أواخر القرن السادس حيث كانت اليمن جزءاً من النزاع الفارسي – البيزنطي للسيطرة على التجارة بين الهند ومنطقة البحر المتوسط، وخضعت للحماية الفارسية لفترة من الوقت قبل أن يدخلها الإسلام. تعتمد هذه السيرة الشهيرة جزئياً على سرد تاريخي لفترة من الوقت وعلى قصص خيالية تدور حول البطل المغوار "سيف"....."والمفارقة_ حسب تعبير أحد الكتاب المصريين_ ان نجدها تحولت الى سيرة شعبية في بلد آخر كمصر، وفي سياق تاريخي شديد التقدم قياساً على زمن ظهور الملك سيف نفسه" وقد وصف العديد من الدارسين هذا العمل بأنه "قطعة أدبية أساسية بالنسبة للعالم العربي" وتضم 19 مجلداً.....

وبعيداً عن التاريخ، تُحلق السيرة بعيداً في الأسطورة، فتلبس الملك سيف بن ذي يزن لباساً غير بشري، وتجعل له أصولاً جنية، فأمه إحدى ملكات الجن، وله أخت منهن. وتحكي السيرة عن زوجة سيف منية النفوس، وكيف اختطفها الأحباش واستعادها سيف منهم..... وتجعل السيرة من "سيف" موحداً مسلماً على دين إبراهيم الخليل، و من الأحباش وثنيين يعبدون الكواكب والنجوم، رغم أن دين الأحباش كان النصرانية.....

كما تشير السيرة الى اختفاء سيف في آخر أيامه لاحقاً بأمه في عالمها.....

أما مؤلف هذا العمل باعتباره سيرة فمجهول الهوية .

وهذه السيرة وهي أيضا ملحمة بعنوان "سيرة فارس اليمن ومبيد اهل الكفر والمحن سيف بن ذي يزن " تضم 17 مجلدا تقدم صورة لحاكم مسلم نموذجي حيث تناول العديد من الأسئلة الاجتماعية الموضوعية وتحتوي على خرافات واساطير من الادب الفارسي العربي .

وفي محاولة لإحياء هذه السيرة كعمل فني ، أنتجت اليمن مسلسلا عن سيرة حياة "سيف بن ذي يزن" بالتعاون مع خبرات فنية من سوريا .

وفي المغرب وتحديدًا في منتصف السبعينات من القرن الماضي، كان يبث على أمواج اذاعتنا الوطنية مسلسل يسمى " الأزلية" بسيناريو وإخراج وبطولة الكاتب محمد حسن الجنديمسلسل بقيمة فنية عالية التامت حوله الاسر المغربية في زمن كان المذيع فيه حقا عصب الفرجة السمعية

وفي سياق ذي صلة بأهمية هذه السيرة ،يقول فاروق خورشيد مؤلف كتاب " مغامرات سيف ذي يزن "في مقدمة مؤلفه " واذا كنا قد ذهبنا الى ان الهدف الموضوعي من سيرة "سيف" هو رسم موقف العرب من الاحباش خلال الحروب الصليبية فنحن نذهب الى ان الهدف الآن من هذه السيرة هو رسم صورة الانسان في بحثه القلق الدائب عن المعرفة والمتعرض لكل أسباب الهلاك من أجل حصوله على خبرة جديدة تزيد فهمه لعالمه الذي يعيش فيه"

ويقول احمد علي مرسي في تقديمه لمؤلف صاحب "البناء الأسطوري للسيرة الشعبية "سيرة الملك سيف بن ذي يزن نموذجا": "..... وهي سيرة من سيرنا الشعبية التي تأخر اهتمام الدارسين والباحثين العرب بها، والذي بدأ إبان الصحوة العربية لدراسة تراثنا الشعبي في النصف الثاني من القرن العشرين.....كما أنها جزء لا يتجزأ من التراث الأدبي العربي، فهي تصور آلام الشعب الذي أفرزها وتعبر عن آماله وقيمه، وتعكس الأنماط الفكرية والسلوكية لأفراده وجماعته"

عموما ، أيا كانت حقائق هذه السيرة ،فالمؤكد ان فن السيرة قديم جدا في أدبنا وثقافتنا العربيين ،بل إنه فن عربي النشأة يتقاطع مع كثير من الفنون الشعبية ذات الطابع القصصي مثل الملحمة والحكاية الشعبية والاسطورة بل والرواية في العصر الحديث ،وهو ما أكده الأستاذ خطري عرابي صاحب كتاب البناء الأسطوري للسيرة الشعبية " سيرة الملك سيف بن ذي يزن نموذجا "